محمد قطب

بقلم الشيخ/ أبوقتادة

للأستاذ عدة كتب تعتبر كافية في الحكم على الأستاذ ومنهجه، مع أن كتبه كثيرة لكن الكثير منها يعد معالجات لأفكار وتصورات معاصرة تحمل الخطوط العريضة بأنه بفضل الله تعالى في الصف الإسلامي ضدّ تيّار الجاهلية بخطوطها المتعددة كالإباحية والرأسمالية والاستشراقية وغيرها.
لكن ما يعنينا في مثل هذه الأبحاث القصيرة هو عدم النظر إلى هذه الخطوط العريضة بمقدار الغوص واستطلاع دقائق الفهم لقضايا الإسلام المعاصرة لخدمة جماعات الجهاد المسلّح. الكتب التي يطرح الأستاذ فيها نفسه ويشرح فيها موقفه من القضايا الداخلية في الصف الإسلامي هي:
أ) واقعنا المعاصر.
ب) مفاهيم ينبغي أن تصحح.
ج) حول تطبيق الشريعة.
يعد الأستاذ حفظه الله ورعاه من أوائل من اكتشف مكامن المرض في الجسم الإسلامي الهزيل، وهذا من فضل الله عليه وعلى أخيه سيد رحمه الله قبله، وقد عرض هذه الاكتشافات في كتابه "مفاهيم ينبغي أن تصحح".
وقد حاول الأستاذ جاهداً أن يثير المفاهيم الغائبة في أعظم قضيتين حصل فيهما التحوير والتزوير في عقلية المسلم المعاصر وهما: توحيد الشرع، في أربعة فصول من الكتاب وهي: 1) مفهوم لا إله إلا الله. 2) مفهوم العبادة. 3) مفهوم الدنيا والآخرة. 4) مفهوم الحضارة وعمارة الأرض.
والقضية الثانية هي توحيد القدر وقد عرضها الأستاذ في فصل واحدٍ من كتابه وهو: مفهوم القضاء والقدر.
والأستاذ في ظنّنا ليس كغيره يعلِك هذه المفاهيم من غير تصوّر صحيح لها، فإنه حفظه الله قد نبّه على بعض الانحرافات في بعض الجماعات الإسلامية وخاصة في مفهوم توحيد الشرع كما بسطه في كتابه واقعنا المعاصر.
فالأستاذ في هذا الجانب من أئمة هذا العصر، وبسبب كشفه لهذه القضايا المنسية في عقلية الجماعات الإسلامية، قامت عليه هذه الجماعات بالهجوم والتحذير من كتبه، وقد تولى كبر إسباغ الشرعية على هذه المفاهيم المنحرفة والرد على كتبه كتابان هما: "حاضر العالم الإسلامي للدكتور علي جريشة"، والثاني: "شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر لسالم البهنساوي ، وكلاهما من الإخوان المسلمين. وهما من أفسد ما أفرزت المكتبة الإسلامية المعاصرة من كتب تدعو إلى إسباغ الشرعية على الواقع المعاصر.
أمّا منهج محمد قطب في التغيير: - فالأستاذ كان يدعو في كتبه القديمة إلى فكرةٍ دندن حولها كثيراً وهي وجوب إيجاد القاعدة الصلبة للعمل الإسلامي، وأن الواقع يدل على عدم وجود هذه القاعدة، ولذلك الواجب علينا الآن. حسب قوله القديم. أن ننشغل: 1) بالبيان. 2) بالتربية.

يقول الأستاذ في كتابه واقعنا المعاصر لا بد أن يقوم السند للحكم الإسلامي من داخل الأمة المسلمة ما دام لا يمكن أن يجيء من خارجها. فهل هذا السند موجود في الحقيقة؟ فيجيب الأستاذ بعد ذلك بعدم وجود هذه (القاعدة الإسلامية) كما هو مطلوب.
ثم يتابع الأستاذ دعم فكرته وأن على المتعجلين بمواجهة الأنظمة أن يتريّثوا وأن (القاعدة الإسلامية) لم تزل بعد أصغر من حجم العمل المطلوب (وهذه عبارته من كتابه واقعنا المعاصر)، هكذا كان يطرح الأستاذ فكرته في كتابه الذي أصدره سنة 1986، وكذلك في كتابه مفاهيم ينبغي أن تصحح الذي أصدره في سنة 1987.
وكان الكثير من المحبين للأستاذ كانوا يدعون أن يبصِّر الله الأستاذ بالواجب الشرعي العيني المُلقى على عاتق الأمة في مثل هذا الظرف، وهو وجوب الجهاد ومواجهة الجاهلية بقوة السلاح، فكان كتابه "حول تطبيق الشريعة" الذي أصدره سنة 1991. استجابة لهذه الدعوات بفضل الله تعالى فقال الأستاذ حفظه الله رادّاً على سؤال "أحقًّا لا نستطيع شيئا إزاء كيد الأعداء؟": إن أحدا من الجادين لا يقول ذلك، وإن اختلفت في درجات الجد وزوايا الرؤية ومناهج العاملين، إننا في الحقيقة نملك الكثير إذا عزمنا العزمة الصادقة، واتجهنا الاتجاه الصحيح، أي إذا عزمنا عزمة صادقة أن نعود إلى حقيقة ديننا ونتحمل التكاليف. إنه لابد من الجهاد، وكل طريق غيره لا يؤدّي إلى شيء.
ثم يواصل الأستاذ حديثه الممتع في الرد على شبه المثبّطين عن المواجهة فيردّها واحدة واحدة. حتى يقول: يقول الذين يتهيّبون الطريق كيف نجاهد ونحن مستضعفون؟ كيف نجاهد ونحن في قبضتهم أنّى اتجهنا؟ وهؤلاء نقول لهم انظروا إلى الجهاد الأفغاني، انظروا إلى الانتفاضة الإسلامية في فلسطين. ثم يقول: لابد للأمة المسلمة لكي تستعيد مقوّمات وجودها وفي مقدمتها التحاكم إلى شريعة الله وتحقيق منهج الله لابد لها من الجهاد، فإن الأعداء لن يسلّموا لها بشيء إلا بالجهاد.
ويقول: ينبغي أن نتعلم بروح الجهاد، ونعمل بروح الجهاد ونعيش بروح الجهاد ..لا بد من تربية جيل جديد، يحمل بين جنبيه الشعلة المقدسة (شعلة الإيمان، شعلة الجهاد).اهـ.
وأنا لا أعتبر الأستاذ قد غيّر فكرة ضرورة القاعدة الصلبة، لكني أستطيع أن أقول إنه كان ينفي وجودها، لكنه بفضل الله قد اكتشفها. فهي موجودة في كلّ بلد، لأن الطائفة المنصورة طائفة قائمة حتى تقاتل المسيح الدجال.
وعلى الأستاذ بعض المآخذ أهمّها: (1) أنه لا يضع كثيراً النقاط فوق الحروف، ويعني هذا أن الأستاذ يعتمد في كتبه طرح أسلوب التعميم. ولعلّ له عذراً وأنت تلوم. لكن هذه المصالح المرجوّة بترك التعرّض للأسماء الصحيحة في ظني هي مصالح وهمية ولن تتحقق، والـواجب علينا تسمية الأمور بأسمائها الكونية والشرعية، ليتمّ تحقيق استفاضة البيان. فالأستاذ ما زال يُستغل من بعض جماعات الانحراف كالإخوان المسلمين في تمرير أفكاره على الشباب المحبين له وخاصة عبارته القائلة أنه لا يخالف شيئا من فكر الأستاذ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين، وهذه الكلمات مع خطئها الموضوعي هي

خطأ كذلك أن لا يعلن الأستاذ موقفه الصريح من هذا التنظيم وأمثاله الذين يبنون على ظهره القصور والعلالي مع علمنا أنه ليس منهم، لأن هذه التنظيمات (كالإخوان المسلمين) يستخدمون اسمه متى يكون في اسمه المكسب والمغنم، ويطرحونه متى فيه الخسارة والمغرم، وما اسم عبدالله عزام عنا ببعيد، ولهذا صدق من قال إن الأستاذ محمد قطب يفقد عنصر التمرد، وهو عنصر ضروري ومهم للأستاذ محمد قطب.

(2) المأخذ الثاني: إن كثيراً من التحليلات التي يطلقها الأستاذ لبعض الأحداث السياسية المعاصرة تفتقد عنصر (الأرشيف) والدراسة المتأنية، فإن الكثير من الفضلاء يعتمدون على مبدأ (الفتح الرباني) في دراسة الواقعة وتحليل أبعادها، ولعل عدم وجود فريق عمل مع الأستاذ هو الذي يوقعه في مثل هذا المأخذ.

حفظ الله الأستاذ وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، وهدانا الله وإياه لأرشد أمرنا.